

المسلاح والربيع السوري

لم يتوانَ النظام السوريّ، منذ بداية الثورة، عن الترويج عبر إعلامه المشكوك بصدقيّته ومهنيّته

، لفكرة العصايات المسلحة التي تقتل وتروّع المواطنين، فكان هذا الترويج مدخلاً لاجتياح المدن المنتفضة، وقصف البشر والحجر فيها، ما هدّد ويهدّد المسلم الأهلي لدولة متعددة الطوائف والقوميات. لذا، فإن الانجرار إلى ردّات الفعل العنيفة هو مطلب من أطلق الرصاص على هتافات السلمية .

اللاعنف، التسامح، السلم الأهلي، مفاهيمٌ لا بدّ من تفعيلها في الحياة العامة، خصوصاً في هذه المرحلة من الربيع السوري المُنجز داخلياً وخارجياً، والذي يحتاج فقط إلى نفس أكثر سلميةً لإنجاز المهمة، التي طالما حُلِمَ بها السوريون، لإنهاء الاستبداد الموهل والمتغلغل في جميع أركان الدولة.

بواذر التحول من السلمية إلى التسلّح بدأت تتلامح على السطح رويداً رويداً، كذا فإنّ صورة حمل السلاح من قبل طالبي الحرية ستترك كبير أثر على الأجيال المقبلة، وليس من المبالغة وصفها بأنها مقبرة الثورة، مع عدم إغفالنا بأن مرد ذلك التحول ناجم عن قمع وحشي لنظام تسلطي يدرك جيداً بأنه المنتصر من حمل السلاح مهما كانت المبررات والدوافع .

أن يقال إنّ الحرية آتية من فوهة المبنذقية لهو انتحار سياسي، وضيق فكري من قبل مروجي فكرة السلاح، وستكلف الربيع السوري دماً واقتصاداً، فالجار اللبناني بتكوينه ومكوناته شبيه للواقع السوري، وسلمه الأهلي مهدد بأي لحظة، وفق موازين قوة السلاح التي يملكها طرف هو خارج شرعية الدولة .

نقول إنّ الثورة السورية التي تستمدّ شرعيتها من إرادة سلمية صلبة يجب أن لا تستكين لإرادة القتل وردات فعله، كذا إنّ الربيع السوري سيستمر، وحلم السوريين في بناء دولة مدنية ديمقراطية يجب أن لا يشوبه أي عنف بالسلاح، فالملاحظ في المشهد السوري المنتفض سلمياً المشاركة النسوية الواسعة، إلّا أنّ الاحتكام لفكرة السلاح سيؤدّي بالضرورة إلى غياب العنصر الأنثوي عن المشهد العام، وسيطرّة الذكور الملتحين ذوي العقيدة الجهادية العنيفة على الساحة العامة، وبالتالي تهديد العلمانية ومدنية الدولة

المنشودة .

غنيّ عن القول إنّ السّلمية هي حارسة مرمى الثّورة وفق تجارب الآخرين ممّن استخدموا اللاعنّف للوصول إلى مبتغاهم الثّوري، وبنوا على أساسها دولاً ترسّخت فيها قيم التسامح، مقارنة مع الدول التي ذهبت إلى فكرة السلاح لتحرير أوطانها، فما زال الدم فيها مسالماً والاقتصاد منهياراً.

النظام السوري بسلوكه الأمنيّ الأرعن يؤوّل إلى الزوال بالإرادة السّلمية لإرادة السلاح، لإعادة بناء الدولة الوطنيّة، وترميم النسيج الاجتماعيّ بعد ثورة مسلحة يصبح ضرباً من الخيال، ويحتاج إلى سنوات طويلة لإعادة التلاحم الاجتماعيّ، لصعوبة تحديد الحدود الفاصلة بين النظام وبعض مكونات المجتمع السوري.

الثّورة السوريّة على مفترق طرق، وكلّها خطيرة جداً... السّلميّة صمّام أمانها، السلاح نزع لمسمار أمانها.

✍ *كاتب وصحافي سوري

محيي الدين عيسو*